التوسع العمراني لمدينة المدية

د.محمد مرسلي-المدرسة العليا للأساتذة

موقع مدينة المدية :

تقع هذه المدينة العتيقة التاريخية جنوب مدينة الجزائر العاصمة على بعد (90 كلم).

على الطريق الوطني رقم (1) الرابط بين الجزائر والأغواط ، الذي يسايره الخط الحديدي الرابط بين البليدة والجلفة ، والمتوقف حاليا.

أي عند تقاطع الطريق الوطني رقم (1) بالطريق الوطني رقم (18) الرابط بين خميس مليانة وسور الغزلان .

كما يتقاطع فيها بالتقريب خط العرض (36.16) شمال خط الاستواء ، بخط الطول (2.45) شرق خط غرينتش.

وهي تقع أيضا على الواجهة الغربية لجبال التيطري ، التي أخذ منها اسم هذه الولاية (ولاية التيطري) على السفح الجنوبي لسلسلة جبال الأطلس التلي .

كما أن مدينة المدية تكاد تتوسط أراضي بلديتها .

هذا الموقع هو الذي ساعد على نشأة مدينة المدية في هذا المكان بالذات لأنه موقع استراتيجي هام ، جعل المدينة تتمتع بمركز دفاعي حصين وذلك منذ أمد بعيد .

كما خول لها موقعها هذا حق المراقبة والإشراف على أهم ممرين بالمنطقة وهما:

(1) : الممر الرابط بين الساحل والداخل أي الممر المؤدي إلى إقليم السهول العليا .

(2) : والممر الرابط بين سهل الشلف غربا ، وسهل بني سليمان شرقا .

كما أن مدينة المدية تعتبر عقدة مواصلات وطنية ، رغم صعوبة طرقها من خطر الانزلاق والانهيارات الأرضية وخاصة في فصل الشتاء .

هذا الموقع جعلها تأخذ صبغة المدن التجارية الهامة ، والذي زاد في أهميتها عدم بعدها عن الجزائر العاصمة مما يساعدها على الاتصال الدائم بالمراكز التجارية بالعاصمة .

موضع مدينة المدية : إن نوات المدينة القديمة تتوضع على السفح الجنوبي لجبل الناظور، وعلى وجه التحديد تتربع مدينة المدية على أنف الجبل الذي اقتسمته مع الحي العسكري المسمى (بابا علي) (كامو سابقا).

وذلك على ارتفاع (900م) عن سطح البحر ، وتشبه مساكنها القديمة المساكن الموجودة بقصبة الجزائر العاصمة وملیانة ، وهذا ليس من الغريب باعتبار أن هذه المدن الثلاثة متعاصرة النشأة والإصلاح من قبل (بولوغين) حسب قول ابن خلدون (أنظر اللمحة التاريخية) ، ثم بعد الاحتلال الفرنسي لها اتخذت مساكنها شكلا منسقا لاسيما في حي الناظور الذي مثل أول نمو عرفه مطلع القرن العشرين بالمدية ، كما أقيمت العمارات شرق المدينة حيث مثلت هذه العمارات التي أقيمت خارج سور المدينة انطلاق النمو العمراني نحو قرية عين الذهب منذ الاستقلال ، حيث امتد أكبر محور لها نحو الشمال الشرقي والجنوب الغربي ، ورغم ذلك كانت المدينة تتمتع بالاستقرار حيث أن السكة الحديدية تحدها من الشمال ، كما يمنعها من التوسع في هذا الاتجاه أيضا ارتفاع السطح عن مستوى أرض المدينة ، ومن الغرب تحدها المنشآت العسكرية ، مركز الدرك حاليا (ثكنة يوسف سابقا) في الشمال ، وثكنة بابا علي (كامو سابقا) في الجنوب ، بينهما ممر باب الأقواس الذي مازالت بعض آثاره ، ومن الجنوب الغربي تحدها أراضي شديدة الميل مما يكلف امتداد العمران في هذا الاتجاه .

أما من الشرق فنجد هضبة المصلى الزراعية المساعدة على التوسع العمراني ، مما جعل المدينة تزداد نموا سنة بعد أخرى ، وذلك لحسن المكان وجودة الأرض في هذا الاتجاه، وخاصة منذ سنة (1973) حيث خصص المخطط الرباعي والبرنامج الخاص للولاية ميزانية هامة للاستصلاح .

محيط مدينة المدية:

من نظرة فاحصة دقيقة يتبين لنا أن المساحة العمرانية لمدينة المدية تنقسم من الغرب إلى الشرق إلى ثلاثة أقسام متباينة تفصل بينهما شعاب وانكسارات وهي كالتالي :

أ ـ القسم الأول يمتد من ذراع السمار إلى رأس قلوش الذي يكاد يكون محاطا بانكسار واضح، كما أن هذا القسم يكون الجانب الغربي لتوسع المدينة نحو ذراع السمار .

ب ـ والقسم الثاني يمتد من نهاية القسم الأول أي من جنوب الثكنة إلى اسليطن في الشمال، ويتميز هذا القسم (بأكبر تركز عمراني) ، إذ به توجد نواة المدينة القديمة، وهو القسم الأوسط للمدينة الحالية .

ج ـ ثم القسم الثالث وهو يمتد من اسليطن إلى عين الذهب شرقا ، وهو يكون الجانب الشرقي لتوسع المدينة نحو عين الذهب (لاحظ الخريطة المرفقة).

والملاحظ يرى أن هذه الهضبة التي هي موضع الدراسة في هذا البحث قد تمركز السكان على مجموعها بصفة مبعثرة وبدون تخطيط عمراني ، كما أن هناك نزعة جديدة تمثلت في انتشار السكان نحو عين الذهب خاصة ، وفي مختلف الجهات على العموم ، وذلك قبيل الاستقلال وبعده ، نظرا لعامل الهجرة الريفية إلى أن برزت إلى الوجود مصلحة خاصة بالعمران تعمل بالتعاون مع مصلحة الجسور والطرق ، حيث بدأت عملها منذ سنة (1969م) ، فخصصت الأراضي الرئيسية للاستصلاح العمراني ، وهذا الاستصلاح يشمل الأراضي الخاصة بالسكن ، والأراضي الخاصة بمختلف التجهيزات والنشاطات ، وبذلك منعت انتشار السكان الذين تعودوا على بناء السكن الفوضوي ، الذي لا يخضع للهندسة الحديثة الرامية لتوفير متطلبات الحياة لكل السكان مثل التهوية والماء والمواصلات .

وقد شمل المنع بناء المساكن داخل المحيط المدني وخارجه، إلا عند تقديم مخطط مصادق عليه من طرف هذه الهيئة المهتمة بالبنية العمرانية للمدينة .

ولما زودت الدولة الولاية بميزانية هامة وذلك في نطاق المخطط الرباعي والبرنامج الخاص للقضاء على الفوارق الجهوية .

اتسع محيط المدينة حتى شملت ذراع السمار غربا وعين الذهب شرقا وتقدر هذه المساحة بـ (1446هـ). وحاليا اتسعت إلى الشرق بحوالي (2كلم) أيضا حتى شملت ربوة السماء الواقعة إلى الشمال الشرقي من عين الذهب .

تضاريس هضبة المدية :

بنيت مدينة المدية في جبال التيطري على السفح الجنوبي لجبل الناظور ، وتتمتع هذه المدينة بموضع ممتاز من حيث الحصانة على أرض معقدة التضاريس تبدو على شكل هضبة متموجة التكوين تعلوها القمة الرئيسية لجبل الناظور المتجه من الشرق إلى الغرب على مستوى (1120م) عن سطح البحر ، وذلك عند القمة المسماة (قمة عبد القادر) وتعتبر هذه الذروة الممتدة حتى كهف اسليطن منطقة تقسيم المياه . لأن هذه الذروة كونت لهضبة المدية الواجهتين التاليتين:

أ ـ الواجهة الأولى : تتجه شمالا نحو وادي موزاية ووادي وزرة في هذه الواجهة تجد أن جبل الغزاغزة يفصل بين الوادين المذكورين أثناء انحدارهما إلى أن يلتقيا في أسفل الجبل عند المركز الجديد لتصفية المياه المتجهة نحو المدية (أي عند حوش المسعودي).

ب ـ أما الواجهة الثانية وهي التي تخص موضوع بحثي هذا فتتجه جنوب القمة المذكورة سابقا صوب الوادي الاحرش ، وبهذه الواجهة أيضا تل ممتد من رأس قلوش

إلى ثكنة بابا علي (كامو سابقا) في انخفاض تدريجي يقوم كحاجز طبيعي يفصل وادي مريرن وروافده عن الاتصال بوادي باكورة وروافده (بعرورة) إلى أن يلتقيا قبل اتصالهما بالوادي الاحرش الرافد الأساسي لوادي شلف المتجه نحو البحر غربا .

و يبدوا واضحا أن هذه الواجهة أقل انحدارا من سابقتها ويتجلى ذلك في تباعد خطوط التسوية عن بعضها .

ويبلغ ارتفاع هضبة المدية على العموم (900م) عن سطح البحر ، وتظهر هذه الهضبة وكأنها تعلو ببطء نحو قمة عبد القادر ، كما نلاحظ أن الانجراف قد عمل على حفر أودية ومنخفضات في مختلف الاتجاهات نظرا لعامل الانحدار من جهة ، واجتثاث الأشجار من جهة ثانية وذلك لتدخل العنصر البشري سعيا منه وراء استصلاح قطعة أرض يجلب منها عيشه أو رزقه.(لاحظ المقاطع الطوبوغرافية المرفقة).

بنية هضبة المدية : لا نستطيع أن نسمي هضبة المدية بأنها مائدية الشكل نظرا لاختلاف مظاهر سطحها لكن يمكن أن نسميها هضبة متموجة الشكل .

وتتكون هذه الهضبة على العموم من صخور رملية ، هذه الصخور تتوضع فوق صخور مارنية كلسية غير نافذة للمياه ، مما جعل المدينة تعرف عدة ينابيع مائية مثل عين رأس قلوش وعين الدخلة وعين العرائس وعين تلاعيش وعين اشلعلع وعين الستارة، ومع تزايد السكان تم جلب المياه من وادي شفة شمالا ومن سد غريب جنوبا وتم هذا خلال سنوات السبعينيات لتلبية حاجيات المدينة من المياه.

تخطيط المدينة :

إن تخطيط مدينة المدية على العموم يأخذ طابع الشكل الشطرنجي الذي يتميز بسهولة مواصلاته ، إذ نجد أن الجزء الجنوبي الغربي الذي يمثل النواة القديمة للمدينة ، يأخذ صبغة الشكل المركزي الذي تلتقي أغلب شوارعه في نقطة معينة وبهذا النظام تصعب المواصلات بعض الشيء باستعمال السيارات وإن تخطيط البنية العمرانية لمدينة المدية يعتبر انعكاسا لتطورها التاريخي ، فمن خلال نظام أبنيتها يمكننا أن نفرق بين مراحل نموها ، وحاليا تم قرار تجديد هذا الحي المتدهور .

وفي العشر السنوات الأخيرة تم التوسع العمراني على ربوة السماء شرق المدينة في اتجاه مدينة وزرة والأعمال به جارية على قدم وساق ، كقطب جديد رئيسي لمدينة المدية ، مع العلم أن هذه الربوة المتكونة من قاعدة سميكة من التكوينات المارنية تعلوها تكوينات رملية ، ضف إلى ذلك انحدارات حوافها التي تم تدعيمها بجدران إسمنتية لتدعيمها قصد استصلاحها ، لكن هذه الدعامات انهارت مع أمطار قليلة

وبالتالي فإن وضع هذا القطب يبقى تحت علامة الاستفهام ، لاسيما إن جاءت أمطار غزيرة كما حدث سنة (1975) لمن يعتبر.

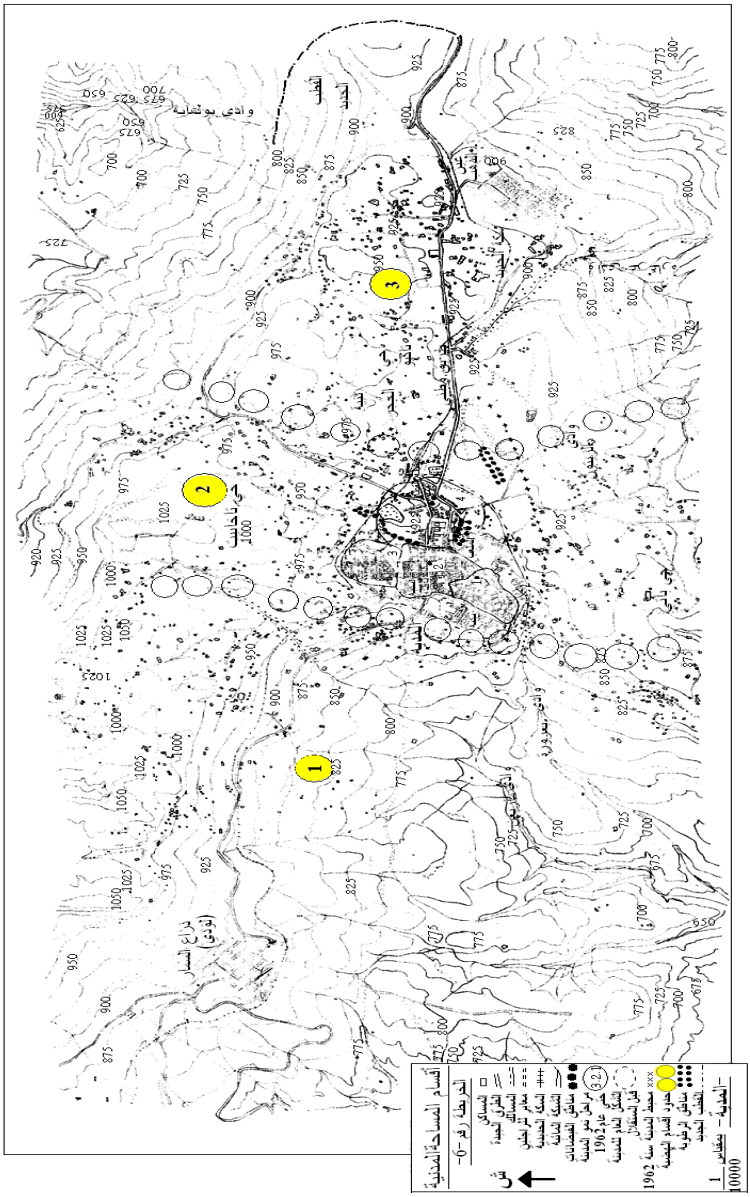

مقاطع طوبوغرافية لمدينة المسيلة
أخذت هذه المقاطع من خريطة طوبوغرافية لمدينة المسيلة 50000/1
(الاتجاه من الغرب إلى الشرق) . (من أ إلى ب)
المسيلة
(من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي) . (من أ إلى ب)
(من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي) . (من أ إلى ب)
(من الشمال إلى الجنوب) . (من أ إلى ب)
جبل الماطور قمة عبد القادر

مقطع جيولوجي لمدينة المدية

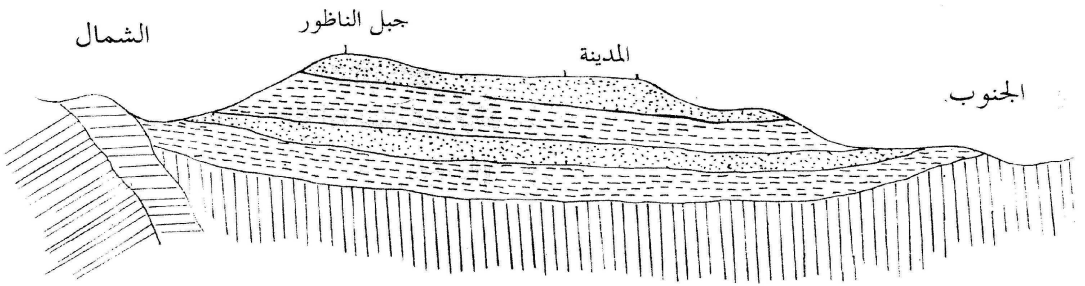

المصدر: مركز الدراسات والأبحاث العمرانية